

علمية التنبؤ في العلاقات الدولية

Scientificity of forecasting in international relations

نسرین شلبابي*، جامعة الجزائر 3
chelbabiness@gmail.com
مسعود شعان، جامعة الجزائر 3
m.chanane@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2020/01/08

تاريخ الإرسال: 2019/10/30

ملخص:

تجادل هذه الورقة البحثية، ان استشراف مستقبل العلاقات الدولية ذو مكانة مهمة على الصعيدين النظري والتطبيقي، و ذلك لأن صناع السياسات في العالم بحاجة ماسة لمثل هذه التحليلات التي تفيد في رسم السياسات الخارجية لدولهم، وحماية لأمنهم القومي من التهديدات المحتملة مستقبلا. وفي هذا السياق أثار الموضوع الكثير من الجدل العلمي والنقاش الفكري خاصة من ناحية مدى نجاعة ودقة وقدرة اساليب الاستشراف على تحديد المستقبلات المحتملة، وهذا ما ارجع الجدل إلى الأسس العلمية لاستشراف العلاقات الدولية، وكان الموضوع الفرعي الأكثر اهتماما وجدلا هو التنبؤ في العلاقات الدولية، خاصة في سبعينيات القرن الماضي اذ كان الموضوع حلبة للنقاش الفكري بين مختلف المفكرين في العلاقات الدولية المنتمون إلى مدارس نظرية مختلفة، وهو ما يؤكد لنا التطور المفاهيمي والمضاميني للتنبؤ قصد بلوغ مبلغ العلمية.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: التنبؤ، الاستشراف، العلاقات الدولية، نظريات العلاقات الدولية.

Abstract:

This paper, argue that foreseeing the future of international relations is important in both theoretical and practical terms. Policymakers desperately need such analyzes that are useful in shaping their countries' foreign policies and protecting national security from potential future threats.

In this context, the subject raised a lot of scientific and intellectual debates, especially in terms of the effectiveness, accuracy and ability of prospective methods to identify potential futures, which has brought the debate back to the scientific basis for the forecasting of international relations, especially in the 70s. At that time, foreseeing the future of international relations was an arena of intellectual debate between different scientists in international relations, these scientists are from different theoretical schools, This confirms the conceptual and substantive evolution of the forecasting in order to reach the "scientificity".

Keywords: forecasting, prospective, international relations, IR theories.

مقدمة:

لقد عرفت الدراسات الاستشرافية في العلوم الاجتماعية انطلاقة محتشمة في القرن العشرين، ذلك إن الامر برمته كان متعلقا بصورة نمطية مرسخة في اذهان المجتمع الاكاديمي بأن علم المستقبل لم يكتمل بناؤه العلمي والنظري والمنهجي، وأنه يتقاطع إلى حد بعيد مع لا علمية التكهن والتخمين والحدس والسحر، لذلك لم يكتسب الشهرة العلمية الكافية على الاقل في تلك الحقبة، لكن سرعان ما برز التنبؤ في العلوم الاجتماعية، وتم استنباط الادوات المنهجية التكميلية للعلوم الدقيقة والرياضيات لإسقاطها في البحث حول المستقبل، ولم تكن العلاقات الدولية بمعزل عن ذلك، فأثير الكثير من

الجدل العلمي حول هذا الشأن خاصة وأن دراسات العلاقات الدولية أصبحت شيئاً فشيئاً تركز على التنبؤات ذات الاسس العلمية، بسبب القلق المتزايد حول مستقبل العالم في ظل الحرب الباردة والتهديدات الامنية والعسكرية النووية للقطين على مصير الكوكب، كما أن جدل كبير أثير ضمن مساعي التنظير للعلاقات الدولية حول إدراج وظيفة التنبؤ ضمن الوظائف المنوطة بنظريات العلاقات الدولية من عدمها، فانقسم مجتمع المنظرين الى مؤيدين لجعل التنبؤ من الوظائف الاساسية للنظرية في العلاقات الدولية وبين معارضين لذلك وكل طرف لديه حجج وبراهين ... فكيف انتقل "تنبؤ" مستقبل العلاقات الدولية من اللاعلمية إلى العلمية؟

وللاجابة على هذه الاشكالية طرحنا مجموعة من الاسئلة الفرعية:

ماهو السياق الايتومولوجي للتنبؤ والمفاهيم ذات الصلة؟

ما مدى قدرة التنبؤ في العلاقات الدولية؟

ماهي الادوات العلمية للتنبؤ؟

ما مكانة التنبؤ في نظريات العلاقات الدولية؟

وظلفنا خلال البحث المنهج المقارن لمعرفة الفروقات المفاهيمية والاصطلاحية لمفاهيم الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، لتسليط الضوء على مفهوم واحد واستخدامه في سياقه المعنوي والعلمي وهو التنبؤ، كما وظلفنا المنهج في مقارنة المنظورات النظرية للعلاقات الدولية في التنبؤ..

أولاً: سياق مفاهيمي.

أصبحت سرعة التغيير نتيجة التطور التكنولوجي تشكل اهتمام القادة السياسيين وعامة الناس في كل مكان، فالتحولات التي تطرأ على الدولة القومية وعلى النظام الدولي تجعل الحاجة ملحة لتوفير معرفة عملية يمكن الاعتماد عليها في المستقبل .

اذ يتضمن الزمن ثالوث ظريفي، يتمثل في الماضي والحاضر والمستقبل، والفرق بين هذا الثالوث الزمني في أن الماضي يعبر عن حقيقة قائمة بذاتها لا يمكن تغييرها، والحاضر يمثل عملية صيرورة ديناميكية قيد التشكيل، أما

المستقبل هو الأخذ بكافة الاحتمالات بشأن الظاهرة محل الدراسة من خلال المناهج والتقنيات الدراسات المستقبلية (بوقارة، 2004، ص 186)

قبل الخوض في الموضوع ينبغي علينا القليل من التفصيل والتدقيق المفاهيمي نظرا لوجود العديد من المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة بدراسات المستقبل، فمفهوم التنبؤ كان هو الأكثر إثارة للجدل في ميدان العلاقات الدولية، عدم وجود توافق في الآراء بشأن طبيعة التنبؤ، إذ يشير معظم الباحثين إلى التنبؤ والتكهن forecasting and prediction، ولكنهم يهملون مفهوم الإسقاط والمحاكاة projections and simulations (Choucri, 1979, p 145) كما أن التمييز بين التنبؤ والتوقع والإسقاط والمحاكاة مفيد لصانع السياسة إلى حد كبير من حيث أهداف ودرجة عدم اليقين لكل مفهوم، وتوافق مجموعة من المفكرين على مجموعة من التعريفات هو مفيد لصانع السياسة (Choucri, p 146)

التنبؤ هو التوقع القائم على أساس معرفة سلوكيات الماضي، وعادة ما يتم التعبير عن هذا التوقع كاحتمال، فهو تأكيد لاحتمال حدوث نتيجة، ويمكن اعتبار التوقع بمثابة يقين فقط إذا كان الأساس هو اكتشاف قانون ثابت غير قابل للتغيير فإن التوقع هنا سيكون حتمياً. أما عند تطبيقه على السلوك البشري، حتى "القوانين" لها استثناءات أو لها تعدد في الأسس السببية لدرجة أنها في أحسن الأحوال تكون احتمالية أي أن السبب أ قد يؤدي إلى النتيجة ب أو النتيجة ج أو النتيجة د (ليس دوماً نفس السبب يؤدي إلى نفس النتيجة)، وبغض النظر عن المنهج المستخدم للوصول إلى التنبؤ، سواء كان كمياً أو ذاتياً أو نوعياً، لا يمكن التعبير عن النتيجة إلا كاحتمال لحدوثها، وفي النهاية التنبؤات هي عملية الربط بين سلوكيات الماضي واحتمال المستقبل مع الأخذ ببعض المتغيرات المعينة التي قد تطرأ على هذا السلوك (Doran, 1999, p 12)، أو هي الربط بين سلوكيات الماضي والتوقعات.

ولعل الفرق المنهجي والاصطلاحي الأول في هذا المقام هو بين التوقع والتنبؤ، فالتنبؤات هي علمية وخالية من الحس والانهياز الشخصي، في حين أن التوقع شخصي وذو طبيعة قدرية، كما أن التنبؤ هو استقرار للماضي في

المستقبل في حين أن التوقع يميل أكثر إلى إطلاق حكم ويأخذ في الاعتبار التغييرات التي تحدث في المستقبل، لذلك يتم استخدام التوقع بشكل أكبر في الأعمال والاقتصاد بينما يتم التنبؤ في الطقس والزلازل، كما أن التوقع هو اخبار أو قول شيء قبل الحدث بينما يتم التنبؤ على أساس تحليل الماضي، ذلك أن التنبؤ هو الاقرب إلى العلمية لكنه لا يزال ليس علمًا كاملاً نظراً لوجود مجالات للخطأ.

ثانياً: تطور مضامين التنبؤ.

مع تطور العلوم الاجتماعية والانسانية أصبح التنبؤ أحد الممارسات المعتادة والروتينية، ولعل مجال العلاقات الدولية ليس استثناء من ذلك، فالاهتمام المتزايد للتنبؤ ضمن البحوث الأكاديمية هو نتاج زيادة التوقعات من طرف عالم السياسة (أكاديميين وممارسين) الذي أصبح يلح على أن تكون البحوث العلاقات الدولية قادرة على تقديم الإنذار المبكر من الصراعات والحروب والتوترات والسلوكات الدولية والتفاعلات التي تؤثر على مستقبل المجتمع الدولي سلباً أو إيجاباً، وأصبح الالاح متزايداً على أن تكون هناك تدريبات علمية حول التنبؤ في العلاقات الدولية، في المقابل هناك العديد من علماء العلاقات الدولية يعارضون الأمر ومستمررون في رؤية التنبؤ كمهمة رديئة مقارنة بالتفسير وأن التنبؤ أمر مستحيل، بما في ذلك رواد التنبؤ على غرار الاستاذ الأمريكي النمساوي والمفكر الاقتصادي والمعروف بنظرية الألعاب اوسكار مورغنسترن Oskar Morgenstern لم يستطع دائماً مقاومة مثل هذه الدوافع: "التكهن الاقتصادي هو ... مستحيل لأسباب موضوعية"، أو كما عبرت عنه نازلي تشوكري: "على الرغم من أنه يمكننا شرح التغييرات في النظام الدولي بنجاح بعد حدوثها، لا يمكننا حتى الآن تحديد مفاتيح التحول المحتمل (Choucri, 1974, p 77) دون وضع الاسس العلمية والحقيقية.

تجدر الإشارة إلى أن التنبؤ ينقسم إلى قسمين تنبؤ كامل وتنبؤ جزئي، أما التنبؤ الكامل (حتى وإن كان الاحتمالي) فيكون له ثلاث أسئلة محورية: تعبر التنبؤات الكاملة عن: 1/ "ما" المحتمل حدوثه، و2/ "متى"، و3/ "كيف" يحدث... ويكون التنبؤ جزئي عندما يتخلى التنبؤ على أحد هذه الأسئلة أو اثنين

منها.....اذ عندما يتخلى التنبؤ على السؤال "كيف" ويتركه باعتباره حدث أو عملية غير محددة ستؤدي إلى نتيجة معينة في وقت معين، يعتبر ذلك تنبؤ بدون قاعدة توضيحية، وبالتالي دون صحة تفسيرية مقنعة، وتتميز هذه التنبؤات بتقلص إمكانية تكرارها، أو على الأقل نسخها بدقة، وتسمى تنبؤات "ماذا" و"متى" غير المصحوبة بمجموعة أساسية من التفسيرات بـ "تنبؤات ألفا"، وهي شائعة في العلوم الاجتماعية.

النموذج الثاني للتنبؤ الجزئي هو الذي يتم فيه أيضاً التخلي عن السؤال "متى" وبالتالي لا يحدد توقيت التنبؤ، أما التنبؤ الذي يحدد وقت حدوث الظاهرة يطلق عليه "تنبؤ النقطة"، وبالنسبة لمعظم صناعات السياسة، فإن التنبؤ الوحيد المقبول هو تنبؤ النقطة، أو بالأحرى: "أن نكون على صواب في الوقت الخطأ هو أننا اصلاً مخطئين"، ذلك أن أي تنبؤ أقل من تنبؤات النقطة لا يعتبر ذو قيمة سياسية كبيرة لدى صناعات القرار في رسم السياسات الخارجية.

في الممارسة العملية تكون "النقطة" المتوقعة عبارة عن مجال زمني يمكن أن تحدث نتيجة محتملة ضمنه، أو فاصل تقريبي يُعتقد أنه من المحتمل أن تكون النتيجة فيه، والافتراض الخاطئ في العلوم الاجتماعية أنه يمكن تخفيض القدرة على التنبؤ بنتيجة مستقبلية إلى اليوم أو الساعة، بل وحتى التنبؤ بأن النتيجة المحتملة خلال أقل من سنة قد تكون مثالية أو مبالغ فيها نوعاً ما خاصة في العلاقات الدولية (Doran, p 13)

لكن في المقابل يظهر عدد متزايد من التنبؤات للباحثين والمحللين الأكاديميين والتي أصبحت تتضمن التنبؤات السابقة في عرض نتائج البحوث، وهناك قفزة مشجعة تتمثل في تطوير العديد من الأساليب من طرف العلماء خلال السنوات الأخيرة لتحسين القدرة التنبؤية وتقديم خطط الإنذار المبكر لصناعات السياسات، لكن المسلم به أن التنبؤ بالأحداث والتفاعلات الدولية لا يعتبر حلاً سحرياً يمكن صناعات السياسات من تفادي تلك الأحداث، إذ لا تزال الأحداث المأساوية مثل الإبادة الجماعية والهجمات الإرهابية والحروب تحدث تباعاً، لكن لحسن الحظ هي قليلة، ورغم ذلك فإن هذا الندرة هي بالضبط

ما تجعل من الصعب توقع مثل هذه الأحداث ، فالتنبؤ صعب على الأقل بالنسبة لعلماء الاجتماع. (Schneider And Gleditsch And Garey, 2011,p 5) لكن في العلوم الاجتماعية والانسانية ككل والعلاقات الدولية على وجه الخصوص تتضائل الجدوى بالنسبة لمحاولات التنبؤ بالتغيرات الهيكلية والتغيرات المفاجئة ، ذلك أن التنبؤ يعتمد بشكل متكرر على البيانات التي تتغير ببطء مع مرور الوقت وبالتالي فهي مناسبة فقط للتنبؤ بالتغيرات الطفيفة. وبالإضافة إلى ذلك لا تكون التنبؤات العلمية ممكنة إلا في المجالات التي يمكن للمتنبئين فيها الاعتماد على المعرفة السابقة والأدلة المتراكمة في شكل بيانات مجمعة بشكل منهجي و/أو آراء الخبراء الذين يمتلكون معرفة مميزة ومختلفة عن عملية صنع القرار التي لا يمكن اختراقها. والعامل المحفز الآخر هو قواعد المعلومات الآخذة في التحسن والتطور والوفرة في العديد من المجالات ، لا سيما في ظل الثورة المعلوماتية وثورة الإنترنت التي زودت متخصصي التنبؤ بثروة من البيانات التي لم يتم استخدامها بعد بشكل كافٍ.

ثالثا: تطوير الاطار المنهجي والنظري للتنبؤ

كان هناك اهتمام ضئيل للتنبؤ في العلاقات الدولية ، وهذا ليس راجع إلى عدم وجود بيانات أو معلومات كافية (وهي الحجة المستخدمة) إذ أن هناك الكثير من المعلومات حول متغيرات مختلفة مهمة تفيد في التنبؤ في العلاقات الدولية مثل احصائيات الطاقة في العالم وتطور استهلاكها ، ولكن السبب يعود بشكل أساسي إلى عدم وجود نظرية حقيقية أساسية لتوجيه التنبؤ أو تطوير محاكاة متسقة ومفيدة (Choucri, 1979, p 146) ، إذ أن التنبؤ بمستقبل السياسة العالمية يتطلب المعرفة الكافية بالبدائل الممكنة ، ووجود أساس نظري محدد... (modelski and thompson, 1999, p 109) ومع ذلك فإن التنبؤات لا تحتاج بالضرورة إلى معنى كبير من الناحية النظرية ، ما يهم في النهاية هو دقة التنبؤات (Schneider And Gleditsch And Garey, p, 8).

في العلاقات الدولية يتلخص التنبؤ في تقييم السيناريوهات المختلفة التي يمكن الحصول عليها من خلال توظيف النماذج والمقاربات المختلفة، والهدف الأكاديمي الاساسي للباحثين الاكاديميين هو تحديد "التنبؤ خارج العينة" out-of-sample الذي يقدم التنبؤ الأكثر دقة مقارنة بالنتيجة الحقيقية، وعلى العكس من ذلك يهتم السياسيون والتكنوقراطيين بشكل أساسي بتنبؤات الوقت الحقيقي real-time forecasts أو التنبؤات داخل العينة-in sample، اي تنبؤات بحدث أو اتجاه غير معروف حقاً، ويمكنهم فقط توقع نتائج العملية السياسية (وربما مواجهتها) إذا كانت آلية الإنذار المبكر التي تعتمد عليها التوقعات ناجحة علمياً:

يستخدم نموذج التنبؤ داخل العينة مجموعة من البيانات المتاحة لقيم التنبؤ خارج فترة التقدير ومقارنتها بالنتائج المعروفة أو الفعلية المقابلة، يتم ذلك لتقييم قدرة النموذج على التنبؤ بالقيم المعروفة، على سبيل المثال، قد يستخدم نموذج التنبؤ داخل العينة توقعات عام 1980 إلى عام 2022 بيانات من 1980 إلى 2019 لتقدير النموذج، وباستخدام هذا النموذج، يقوم المتنبئ بعد ذلك بالتنبؤ بالقيم للفترة 2019 - 2022 ومقارنة القيم المتوقعة بالقيم الفعلية المعروفة للسنوات السابقة، وفي المقابل تستخدم التنبؤات خارج العينة جميع البيانات المتاحة في العينة لتقدير النموذج، بالنسبة للمثال السابق، سيتم إجراء التقدير خلال الفترة 1980 - 2022، وستبدأ التنبؤات في عام 2023، وكل هذا يكون على اساس قاعدة أن المستقبل هو امتداد طبيعي للماضي (عامر، 2008، ص 43).

وعلى العموم هناك ثلاث مقاربات للتنبؤ:

أ. المقاربة الهيكلية structural Approach:

اذ يقوم الباحث وفق هذا الطرح بمحاولة التنبؤ بالمخاطر المستقبلية لوحدة جغرافية ما (سواء كانت دولة أو منطقة أو مدينة) لمواجهة سلوكيات معينة في الفترات الزمنية اللاحقة بالنظر إلى الخصائص المهمة والاساسية للوحدة في الوقت الراهن، لقد شهد هذا النهج التقليدي استيراد تقنيات التصنيف والتكميم من العلوم الاخرى مثل خوارزميات الشبكة العصبية neural

network algorithms وأدوات الاقتصاد القياسي والتي حسنت الدقة التنبؤية للمقاربة الهيكلية التقليدية، لكن المستوى العالي من التجميع الزمني أو المكاني هو أحد القيود الرئيسية لهذه المقاربة، خاصة وأن المتغيرات غالباً ما تتغير ببطء... وللتحايل على بعض مشاكل المقاربة الهيكلية في إطارها الزمني، يلجأ الباحثون في كثير من الأحيان إلى ما يسمى بتصاميم السلاسل الزمنية.

بد تصاميم السلاسل الزمنية time-series designs

تعرف السلسلة الزمنية بأنها مجموعة من القيم المشاهدة لظاهرة ما خلال فترات زمنية متساوية، وتكون الفترة الزمنية عادة إما أسبوعية، أو شهرية، أو فصلية، أو سنوية، وفي العلاقات الدولية تكون الفترة أطول نوعاً ما نظراً للتداخل بين الاستمرارية والتغير في العلاقات الدولية وطول فترات التغير، كما يمكن تعريفها على أنها مجموعة من المشاهدات التي تتولد على التوالي خلال الزمن، وتتميز أية سلسلة زمنية بأن بياناتها مرتبة بالنسبة للزمن، وأن المشاهدات المتتالية عادة ما تكون غير مستقلة، أي تعتمد على بعضها بعضاً. ويتم توظيفها من خلال استخدام فترات زمنية أقصر، مثلاً هناك العديد من المحاولات للتنبؤ بتطور الصراع في منطقة صراع معينة مثل سوريا أو العراق، والميزة الرئيسية لتصاميم السلاسل الزمنية للصراع هي إمكانية صياغة نماذج لديناميكيات صراع معين بشكل دقيق في جانبه الداخلي، لكن هذه الميزة تعكس تهميش العوامل الخارجية، كما أن مسارات الصراع لا تشبه بعضها البعض.

ج. أسلوب نظرية الألعاب:

الذي ابتكره بوينو دي ميسكويتا Bueno de Mesquita، هو ضمن نظرية الألعاب، والفكرة العامة لهذا الإطار النظري في البداية هي استخدام المعلومات المفصلة المستقاة من خبراء المنطقة أو الدولة كقاعدة تجريبية أساسية، يستخدم المتنبئ هذه البيانات كمدخلات للنماذج الاستراتيجية التي تحسب التنبؤات بالنتائج المحتملة في التنازلات السياسية بين الوحدات أو القوى السياسية المختلفة، يعتبر هذا الأسلوب مناسباً بشكل خاص لتطوير تقييمات نموذجية مقارنة، وقد تم استخدامه لشرح أنماط صنع القرار والتنبؤ بها في

الاتحاد الأوروبي، والقيد الرئيسي لهذا الأسلوب هو القدرة المحدودة على التنبؤ في كيفية تطور العملية مع مرور الوقت.

وتجدر الإشارة إلى أن هاته الأساليب الثلاثة السابقة يمكن توظيفها في التنبؤ في العلاقات الدولية بشكل يجعل هذا الأخير أكثر علمية وقرباً للحقيقة، ويعتمد اختيار أسلوب تنبؤ معين على طبيعة الحدث أو الاتجاه وعلى جودة البيانات التي ينوي الباحث إدخالها في النموذج، ويرى كل من "شنايدر وغريدتس وغازي" (Schneider And Gleditsch And Garey, p 12)، أن الأسلوب الهيكلي الأول قادر على توفير تنبؤات تقريبية نسبياً للمخاطر التي قد تتعرض لها دولة معينة أو منطقة معينة في المستقبل، على سبيل المثال التوقع بالدول أو المناطق التي قد تقع ضحية للحرب أو الاعتداء الإرهابي، يكون مشابهاً إلى حد ما إلى حد ما التوقعات العالمية للزلازل في مختلف مناطق العالم تواجه نوع خطر التعرض للزلازل، وعلى عكس ذلك لا يسمح أسلوب تصميم السلاسل الزمنية بمثل هذه المقارنات الشاملة، لكنه يسعى لتوفير تقييم دقيق لعملية واحدة فقط.

كما أن التنبؤات حسب نظرية الألعاب تتيح تقييمات لمدى حجم حدث معين ومآلاته المختلفة أي إلى مدى قد يصل حجم هذا الحدث، إذ أن البيانات المصنفة الدقيقة المصنفة، والمتاحة على الإنترنت أو التي توفرها الأسواق المالية أو أسواق الأسهم والتبادلات التجارية، كلها تتيح إمكانية التنبؤ بعملية واحدة أو مجال واحد وفق هذا النموذج، ورغم ذلك ليست كل المعلومات ذات الصلة والأهمية متاحة، وقد يرغب الباحث في التنبؤ بالتغيرات الهيكلية التي تتضمن عدة مجالات وعمليات، وبالتالي قد يحتاج في بعض الحالات إلى اللجوء إلى نموذج التنبؤ بالاختيار العقلاني، والذي يسمح للباحث بتوقع الأحداث من خلال التنبؤات التي قام بها الخبراء عن طريق تقييمها كخيارات سياسية لأحد أو بعض الفاعلين في عملية صنع القرار السياسي أو حتى على صعيد السياسة الخارجية.

وعلى العموم رغم من أن المقاربات الثلاثة السابقة تبدو أن لها مزايا كثيرة ومفيدة في سياقها العلمي، إلا أنه لا يجب استخدام هذه الأساليب بمعزل عن

بعضها البعض أي من تحقيق حد ما من التكامل المنهجي، إذ أنه لن يتحقق التقدم العلمي إلا إذا كان هناك إجراء لتقييمات نموذجية مقارنة للأساليب المختلفة ومحاولة خلق تكامل منهجي لتحقيق تنبؤ أكثر دقة، إذ اقتضت هذه المساعي على فئة معينة من نماذج التنبؤ فقط، ويمكن أن تتناول مثل هذه الإجراءات مثلاً: متى تتوقع أساليب السلاسل الزمنية بداية الأزمة وكيف يرى نموذج الاختيار العقلاني حجم الظاهرة والبدائل السياسية وخياراتها، ثم إن زيادة درجة الحوار بين المتنبئين قد يفيد صانعي السياسات الداخلية والخارجية، مثلاً قد يكون من الممكن للأكاديميين تقديم نماذج للإنذار المبكر من خلال الجمع بين عناصر من الأساليب المختلفة للتنبؤ.

رابعاً: المقاربات النظرية في الدراسات الاستشرافية في العلاقات الدولية.

التفسير والتصنيف والتدخل والتنبؤ هي الوظائف الأربع للنظريات في العلاقات الدولية، وطالما كان الجدول قائماً في حول الوظيفة الرابعة للنظرية، فالسلوكية والماركسية يؤكدان على ضرورة ووجوب التنبؤ في العلاقات الدولية، بينما التيارات التقليدية والنظريات الأخرى تنفي التنبؤات في العلاقات الدولية بالمعنى العلمي للكلمة بل الاكتفاء بمساعدة المحللين وصانعي السياسات باستنتاج بعض التطورات والمستقبلات المحتملة على مقاربات تحليلية انطباقية (أبو عامر، 2004، ص 117)، وباستخدام أدوات منهجية معينة، لكن نجد أن كل من الواقعية والبنائية هما أكثر النظريات اللتان قدمتا تصوراً لمستقبل النظام الدولي خاصة إبان الحرب الباردة ومرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

أ. الواقعية والتنبؤ في العلاقات الدولية

يعرف المنظور الواقعي النظام الدولي من خلال اعتبارات مادية تتعلق بعدد القوى الكبرى في العالم وطبيعة علاقات القوة السائدة فيما بينها، بمعنى التوزيع المادي للقوة.

تركز الواقعية الجديدة على المستوى النظامي للظاهرة وقيودها، ويرى أبرز منظريها جون ميرشايمر أن النظام الدولي هو نظام فوضوي، ذلك بسبب عدم وجود قوة مركزية، وأن القوى العظمى اهتمت معظم قدراتها العسكرية

بالوراثة، والدول لا تستطيع أن تثق بنوايا دول أخرى، والبقاء هو الهدف الأسمى، والدول هي فاعل عقلاني، ونتيجة لغياب حكومة عالمية مركزية نعتمد الدول على أقسها في البقاء ونتيجة لهذا التشخيص تنتج أنماط من السلوك: الخوف، المساعدة الذاتية، تعظيم القوة (الفاضي، 2018، ص 11) وقد عرض الواقعيون الجدد أمثال: كرسيتوفر لاين وجون ميرشايمر وكينت والتز، رؤية واضحة حول ما تتنبأ به نظريتهم لمستقبل العلاقات الدولية وهي :

-إن الاحادية القطبية لن تكون الأخيرة، لأن الدول الأخرى ستوازن الولايات المتحدة الأمريكية، وكتب "لاين" أن ذلك يعود إلى توازن الدولة ضد الهيمنة ستخلف الخلافات بسبب عدم اليقين، وهي المظهر الدائم للسياسات الدولية. -إن النظام الدولي سيشهد تحولاً في توزيع القوة والامكانيات.

-يرى المنظرون الثلاثة أن حلف الناتو سيستمر على الورق فقط ذلك لأن كل دولة ستصرف في الشؤون الدولية بشكل منفرد بسبب تعظيم قوتها (شنيكات وعريبات، 2012، 602)

وفقا لميرشايمر، في تنبؤاته لنهاية القرن 20 وللقرن 21، فإن العالم يكون أكثر ميلا للعنف وسيشهد سنوات اضطراب في السياسة الدولية، وأن زوال الحرب الباردة من المحتمل أن يزيد فرص الحروب والأزمات في أوروبا، بمعنى تضاعف فرص الصراع (الفاضي، ص 11)، وهذه التنبؤات صدقت نسبيا، من خلال ما شهدته أوروبا في منتصف التسعينات خلال حرب يوغسلافيا السابقة، وما شهدته الساحة الدولية والشرق الأوسط من حروب وصراعات أحدثت الكثير من الاضطرابات في السياسة الدولية وفي منظومة العلاقات الدولية، وكذلك توقع الواقعيون أن تستخدم واشنطن قوتها فعليا لزيادة مجال هيمنتها من أجل الأمن والثروة، أي توظيف قوتها العسكرية للحفاظ على نموذجها الامبريالي (شنيكات وعريبات، ص 610)، على غرار الحرب على العراق وعلى أفغانستان.

ب. النظرية البنائية واستشراف العلاقات الدولية

تشدد النظرية على الصلة الوثيقة بين دور الأيديولوجية والهويات الوطنية والشبكات العابرة للقومية، إذ لا يمكن فهم الأحداث دون فهم صراع الأفكار والهويات الوطنية (الفاضي، ص 12)

ساهمت نهاية الحرب الباردة في إضافة الشرعية على النظريات البنائية، خصوصا ما يتعلق بالثورة التي أحدثها ميخائيل غورباتشوف، باعتناقه أفكار جديدة مثل الامن المشترك، ومن وجهة نظر البنائية، فإن القضية المحورية في عالم ما بعد الحرب الباردة: هي كيفية ادراك المجموعات المختلفة لهوياتها ومصالحها (بلخيرات، 2017)، إلا أن الليبرالية الأيديولوجية ظلت هي المهيمنة على الساحة الدولية عقب انتهاء الحرب الباردة، وهو ما تم ترجمتها في مقولات مثل: "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما وصراع الحضارات.

غير أن مع تجدد الصراع بين الغرب وروسيا برزت ارهاصات أيديولوجية روسية جديدة عرفت باسم النظامية oderism حيث شكل تغير النظام الروسي وتجديده تحت قيادة جديدة منذ مطلع الالفية الحالية تغيرا بارزا، وتمكنت روسيا في مرحلته من تجديد نفسها من ثلاث جهات أساسية:

- إن الانهيار حدث نتيجة صراع الأفكار داخل الاتحاد السوفييتي وهو ما يثبت قيمة الأفكار في تفاعلات العلاقات الدولية.
- الهيمنة الامريكية بعد الحرب الباردة لم ترتبط بالتصورات غير المسبوقة للقوة الامريكية بمعناها المادي لكن خلال أيديولوجيا العولمة التي تبنتها الولايات المتحدة الامريكية تعتبر جذابة لكثير من الشعوب من اعتبارات تضمنها المفردات النظام الديمقراطي وحقوق الانسان.
- الحرص على تطوير عقيدة فكرية تستطيع اختراق المجتمعات الشرقية والغربية في حد ذاتها.

وتم اعتبار هذه المتغيرات الثلاث في المشهد السياسي العالمي هي المنطلق الاساس لتحديد مستقبل النظام الدولي في القرن 21، ونمط التفاعلات

الدولية التي ستلعب فيها القوى الكبرى دورا مهما لاسيما روسيا والقوى الصاعدة.

إن الفرضية السياسية الأساسية للنظامية Oderism شددت أكثر على الاستقرار وليس الديمقراطية كما أنها تركّز على المحافظة المتعلقة بالدين، وارتكزت هذه الأيديولوجيا أو ما يطلق عليها بالعقيدة النظامية على السمات الفكرية التالية:

- أولوية الاستقرار في النظم السياسية على الديمقراطية كمبدأ.
- معرضة الانفتاح الفكري اللامحدود وإخضاعه لضوابط المحافظة على الذات

- الانحياز الأيديولوجي للقانون الدولي والآليات المنظمة للعلاقات الدولية
- إعادة للاعتبار للنزعة الحمائية في الاقتصاد الدولي (بلخيرات)

اذن تلك هي المحددات والمنطلقات الفكرية للنظرية في استشراف مستقبل العلاقات الدولية عكس المسعى الدولي الليبرالي الذي يتصور مستقبل العالم قائم على الحرية الاقتصادية، ونشر الديمقراطية في العالم، وعدم التقييد والانضواء تحت لواء نمط فكري معولم أي أن التعددية الفكرية والحضارية هي الأساس في عالم المستقبل.

واخيرا لا يمكننا الجزم بأن النظريتين السابقتين يشكلان الغطاء النظري الوحيد للتنبؤ في العلاقات الدولية بل معظم النظريات عالجت الطرح ولو ضمنا، ليبقى الميدان بحاجة إلى اطار نظري كامل ومساعد على كشف الغموض وتجلي الحقيقة أو ما يقاربها حول مستقبل الظواهر في العلاقات الدولية خاصة تلك الانتظامية والدورية.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكننا استنتاج ما يلي:

- ان علماء العلاقات الدولية اجمعوا على أحد الوظائف الأربعة الأساسية لنظريات العلاقات الدولية هو التنبؤ ويعرفونها على انها استباق معرفة الاحداث والسلوكيات والتفاعلات، وان التنبؤ اصلا ينطلق من مقولات النظرية القائمة على اساس الاحتمال.
 - ان التنبؤ في العلاقات الدولية عرف تطورا ملحوظا انطلق من مرحلة التوقع واللاعلمية والحدس المرتبط بذاتية المفكرين في نظرية العلاقات الدولية الى مرحلة التأسيس المنهجي والعلمي.
 - يمكن اعتبار أن التحول الجذري ضمن هذا المسار كان من خلال النقاش النظري بين المثالية والواقعية عندما اعتبر المثاليون ان الواقعية فشلت في التنبؤ بنهاية الحرب الباردة.
 - بدأت الجهود العلمية للتأطير العلمي والاكاديمي للتنبؤ في العلاقات الدولية منذ منتصف القرن الماضي، وقد نجح المجتمع الاكاديمي في استيراد التقنيات العلمية للعلوم الدقيقة واسقاطها على استشراف الظواهر في العلاقات الدولية.
 - لقد اثبت البحوث انه حتى يكون هناك تنبؤ حقيقي وعلمي يجب توفير الوعاء النظري المزدوج: للعلاقات الدولية بنظرياتها المتفرعة من جهة، ومن جهة اخرى نظريات الاستشراف التي تم تطويرها ضمن العلوم الدقيقة وعلم الفلك والفيزياء والجيولوجيا.
- وعموما فان مسار جعل التنبؤ اكثر "علمية" كان متسقا مع تطور النظرية في العلاقات الدولية على خلفية الجدالات النظرية الأربعة لنظريات العلاقات الدولية، اذ كان ابرز محاور هذا الجدل هو جدوى التنبؤ والتوقع في النظام الدولي خاصة بعد فشل المدرسة الواقعية في التنبؤ بنهاية الحرب الباردة، وقد انتقل التنبؤ إلى مرحلة العلمية بعد خلق

مجموعة من النماذج المنهجية والاقتربات التي يتم استعمالها في التنبؤ في العلاقات الدولية خاصة ضمن المدرسة السلوكية، كما ان كل من النظرية الواقعية والبنائية لديهما نظرتهم العلمية المتميزة حول مستقبل النظام الدولي على ضوء نهاية نظام الثنائية القطبية كركيزة تحليلية للتنبؤ بمستقبل العلاقات الدولية، وبالإضافة الى ذلك كانت الاساليب الكمية والمناهج الاحصائية والطرق التكميلية المستقاة من العلوم الدقيقة أكثر توظيفاً في مجالات التنبؤ والاستشراف عموماً في العلاقات الدولية، وساهم ذلك الى حد بعيد في جعل التنبؤ أكثر علمية من ذي قبل، وتطور الأمر الى المساهمة في توسيع الدراسات الاستشرافية في العلوم الانسانية وتحديدًا في العلاقات الدولية.

قائمة المراجع:

- ابو عامر، علاء (2004)، العلاقات الدولية: الظاهرة والعلم-الدبلوماسية والاستراتيجية، عمان: در الشروق.
- عامر، طارق، (2008)، اساليب الدراسات المستقبلية، عمان: دار اليازوري .
- الفاضي، جمال خالد. مقارنة نظرية لمستقبل التحولات الادولوجية في بنية النظام الدولي، مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 16.
- بلخيرات، حوسين "مستقبل النظام الدولي، رؤية استشرافية بنائية"، (06 فيفري 2017) المعهد المصري للدراسات، على الموقع الالكتروني:
(12/9/2019)bit.ly/2NbSxMZ
- بوقارة، حسين، (2004) الاستشراف في العلاقات الدولية: مقارنة منهجية، مجلة العلوم الانسانية، العدد 21، جامعة منتوري قسنطينة.
- شنيكات، خالد حامد، و عريبات، غالب عبد (2012)، التنبؤ ونظرية العلاقات الدولية: مراجعة للأدبيات النظرية. مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد 39. العدد 3.
- Choucri, nazli, (1974), forecasting in international relations: problems and prospects, international Transactions, vol 1.

- (1979) ,-----,----comments on "Scientific Forecasts in International Relations": International Studies Quarterly, Vol 23, No. 1.
- Doran, Charles F, (1999), Why Forecasts Fail: The Limits And Potential Of Forecasting In International Relations And Economics. International Studies Association; Nitze School Of Advanced International Studies, Johns Hopkins University.
- Modelski, George and Thompson, (1999), William R. The Long and the Short of Global Politics in the Twenty-First Century: An Evolutionary Approach. International Studies Review, Vol 1, No 2.
- Schneider, Gerald And , Gleditsch, Nils Petter, And Carey, Sabine (2011), Forecasting In International Relations One Quest, Three Approaches. Conflict Management And Peace Science, N 28, Vol 1.